بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة القومية وتوطين المعرفة

د. حسين محمد حسين البطاينة
جامعة البلقاء التطبيقية
كلية عجلون الجامعية
xyceeh@yahoo.com

الملخص

هذا البحث قصدت به الى ما يفيده العنوان وهو اللغة القومية وتوطين المعرفة .

اجتهدت أن يكون هذا البحث موزع في محاور عدة بدأتها بالمقدمة وقد تناولت البعد التاريخي للمعرفة ومكانها كمرجعية للمواقف والسلوك والأفكار ودور اللغة القومية في توطينها .

الجانب التالي من البحث بين واقع المعرفة المحصور في عنق الزجاجة ضمن الإطار النظري البعيد عن ملامسة الواقع لقلة برامج التنفيذ وسوء إدارتها نحو الهدف الصحيح .

بعد ذلك ناقش البحث دور اللغة العربية كلغة قومية ودور القران الكريم في تجليها واستخدامها كلغة لبناء المعرفة.

وأخيرا يستشرف البحث المستقبل المشرق للغة القومية في بناء المعرفة ضرورة الإيمان - أولاً – بعالمية المعرفة إلا أن تطبيقاتها الفاعلة لا بد أن تخضع - دون شك - للخصوصية الثقافية والحضارية لكل أمة بما يمكنها المرور عبر قنواتها من أجل ألا تظل معرفة دخيلة، وبالتالي فإن ذلك يشترط ضرورة دمج المعرفة على اختلاف تنوعها الحضاري في صلب التكوين المعرفي الوطني للبلاد. ونحن ينبغي أن نستوعب من هذا درسا نعطيه لأبناء أمتنا في قوة التحيز للغتنا العربية وفاعليته في النهوض بعيدا عن التسول الحضاري والاستيراد البليد. يقول أبو يعرب المرزوقي منبها إلى هذا المنزلق "إن الاستيراد الميت يصيب الأمم اللواقح بالعقم لكونه يحول دونها والمعاناة التي يتدرج بها الفكر من زاده الخاص إلى الإسهام في تحقيق الزاد الإنساني العام تدرجا مسهما في إبداع هذا الزاد، إذ دون ذلك لا تكون الكونية والكلية بين البشر إلا الاشتراك في الحيوانية طبيعة، والعبودية للسائد تاريخا
إن اللغة العربية هي أهم عناصر الهوية، والتفريط في اللغة هو تفريط في هويتنا التاريخية وقيمنا الثقافية والأخلاقية وسيادتنا القومية. وكلما اهتم الإنسان بلغته كان ذلك دليلا على قوته ونهضته وأصالته، والعكس صحيح.
لا أقول عن هذا البحث الا انه محاولة جديدة في دراسة جانب من جوانب اللغة القومية وليس لي من قول أضيفه بعد ذلك الا الاحتماء بقول رسولنا- عليه الصلاة والسلام- : (من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فاخطأ فله اجر واحد ويكفيني الأجر الواحد)

د. حسين البطاينة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المعرفة يكمن مكانها حاضراً ومستقبلاً في ما تدل عليه مفاهيم عناوينها المتعددة، فالمعرفة من وجهة نظر التاريخ كانت ولا تزال وستبقى دائماً هي القوة، والسلطة، والمال، وعنوان المكانة، والكرامة الوطنية، لذلك فهي تظل القضية الإستراتيجية الرئيسة الأهم في أجندة الدول المتقدمة علمياً وحضارياً وتكنولوجياً.
والمرحلة التاريخية المعاصرة تستوجب ضرورة التلازم بين مكانة المجتمعات والمؤسسات على اختلافها مع اقتدارها المعرفي وموقعها على سلمه، كما أن المعرفة مستويات متدرجة نوعياً في فاعليتها وارتقائها، إلا أن قمة الهرم المعرفي تحتله الرؤى والحكمة اللتان تمثلان أعلى مراتب المعرفة تلك التي تتحول المادة الفكرية عندهما إلى توجهات كبرى في الحياة، بحيث تمثل المرجعيات الأساسية للمواقف والسلوك والأفكار.
وعلى رغم ما تملكه البشرية من معرفة ومعلومات إلا أنها في واقع الحال تعاني من ندرة في الرؤى والحكمة، بسبب سلبيات «العولمة» التي جعلت من المعرفة وتقنياتها وتسويقها تجارة رابحة لا خسارة فيها دون توفر مقدار كافٍ من الرؤى المتبصرة التي قادت إلى قحط كبير في الحكمة ذات الطبيعة الاستشرافية للمستقبل، التي من خلالها يضبط السلوك ويوجه بما يضمن النماء والتوازن للمجتمعات.
والأسئلة التي تطرح نفسها: إلى أي حد يبني التعليم عندنا المعرفة الفعلية، ويزود الأجيال بالرؤى والحكمة الهادية؟ وإلى أي حد يوفر التعليم ، خصوصاً في بلادنا القدرات اللازمة للعبور بالمعرفة بعد بنائها إلى مرحلة إعادة إنتاجها، ثم إنتاج المميز والمبدع منها؟
هذه الأسئلة المهمة تطرح على القائمين على مؤسسات التعليم في البلاد، خصوصاً ونحن نعيش عصر التنافس الطاحن على الجودة وتلبية معاييرها الأكثر تطلباً على الدوام.
إن المتأمل لواقع التعليم في البلاد العربية، بما فيها بلادنا، يلحظ على الفور وجود الأرشيفات المتراكمة من المعرفة التي لم يتم الاستفادة منها فعلياً، بل إنها لا تزال تسير في اتجاه طلب طرح المزيد من الدراسات والحلول العلمية والتشخيصية للمشكلات في مقابل قلة برامج التنفيذ وسوء إدارتها وتوجيهها نحو الهدف الصحيح، وبالتالي فإن هذا الأمر قد جعل منه أحد أبرز وأخطر المشاكل التي تفعل بالخفاء فعلها التعطيلي لمباشرة تنفيذ البرامج المعرفية، حتى أصبحنا جميعاً ـ دون استثناء ـ نتعامل بخجل وسطحية وجزئية مع ثروة المعلومات المعرفية التي نمتلكها، كما أن الغالبية العظمى منا قد أصبح ينتج ويستهلك معرفة لا تعدو خدمة الإعفاء من الواجب الوظيفي, أو خدمة لأغراض الترقية, أو الحوافز والبدلات وغيرها، الأمر الذي وسع من هامشية دور عضو هيئة التدريس في جامعاتنا، بدلاً من تحفيزه على إتقان إنجاز المعرفة العلمية بالنسبة لتحليله للنظريات, والمنهجيات التي يتعامل معها من خلال فهم منطق العلم نفسه من ناحية وظائفه المعرفية, واستخداماته الفلسفية والأيديولوجية بحيث يصبح علماً منتجاً للمعرفة، وبالتالي فإن مثل هذا الموضوع سيؤدي بعد دراسته إلى إعادة النظر في معايير اختيار عضو هيئة التدريس وترقيته وتقويم أدائه بما يضمن تمكنه من القدرة على امتلاك المعرفة العلمية المتعمقة في اختصاصه، ثم الرقي به نحو ممارسة ما فوق المعرفة، وأعني بها الإبداع في تقديم الرؤى والحكمة، إضافة إلى تمكينه من احتلال مكانته وموقعه الاجتماعي وسط بيئته بما يتلاءم مع مستوى كفاءته العلمية المعرفية.

وظيفة اللغة في الحياة، والفرد ، والمجتمع

حظيت اللغة وما زالت تحظى بعناية كثير من الباحثين .فمنذ أقدم العصور التفت إليها الفلاسفة , وعكفوا على دراسة ألفاظها وجملها من حيث دلالتها على الأفكار والمعاني , و وضعوا لذلك علما خاصا هو علم المنطق .
منذ أقدم العصور أيضا التفت إليها اللغويون و النحويون والأدباء, وراحوا يدرسون أصواتها , وتكوين ألفاظها ومعاني مفرداتها وطرق نظم عباراتها وجمال أساليبها كذلك اهتم تلاميذ علم النفس القديم والحديث بالبحث فيها باعتبارها مظهرا هاما من مظاهر السلوك البشرى يمكن أن يستشفوا منه كثيرا من الحقائق عن النمو البشرى وظواهر النفسية من معرفة وإدراك وتفكير وانفعال وأقبل أصحاب علم الاجتماع والنثربولوجيا الاجتماعية على دراسة صورها وتركيبها بغية فهم المجتمعات الإنسانية من حيث ماضيها وتطورها من حيث نظمها الحاضرة والقيم السائدة فيها ومحرماتها ونظرات اهلها إلى الأشياء والأحداث .
.وأخيرا عنى بها المربون ووجهوا قسطا كبيرا من جهودهم إلى معرفة أساليبه تعليمها وتعلمها

وقد اختلف الباحثون حول وظيفة اللغة فالعالم اللغوى هرمان بول يرى أن الوظيفة الاصلية للغة أن تكون أولا قبل كل شيء وسيلة لنقل العواطف والمعلومات أو سواهما من الأمور وتاليراند السياسي الفرنسي وكير كجارد الفيلسوف الألماني يريان أنها وسيلة لإخفاء أفكار الأفراد وسترجهلهم . وجيفوز عالم المنطق يرى أن لها ثلاثة وظائف : التفاهم والتفكير وتسجيل الأفكار ويرى لغويون مثل ستيرارات وبلومفليد وليونارد أن وظيفتها الأساسية هي اتصال أفراد الجماعة بعضهم ببعض ويذهب دى لاجونا العالم اللغوى بناء على دراسته المستفيضة لنمو الحياة الجماعية للانسان إلى أن الوظيفة الأساسية للغة ليست هي تقل الأفكار والمعلومات والمشاعر بل ووظيفتها التأثير في الآخرين وتوجيههم إلى القيام بأعمال معينة.

ومدام دى ستايل المتحدث الفرنسية الشهيرة ترى أن وظيفتها الهامة هي اللهو والتسلية والاستماع . فتقول عن اللغة الفرنسية : "ليست هذه اللغة مجرد وسيلة للتفاهم أو نقل الأفكار والعواطف وأمثالها من الامور ولكنها أداة للعب والمرح والقفزات الروحية التي يعبر عنها بعض الناس بالموسيقى الحالة أو الثائرة " . ويسوق عبد الرحمن أيوب شواهد كثيرة على هذه الوظيفة بما نلحظه في الحياة من استماع الخطيب أو الممثل بجرس صوته ومن استماع الآباء والأمهات بمخاطفة أطفالهم ومن استمتاع الإنسان بمخاطبة الحيوان الذي يربيه وهو يعقب على ذلك بقوله : " وهذا قول لا يقتصر على الأطفال والبدائيين من أبناء الجنس البشري وحدهم بل إن أكثر الناس فلسفة وتعنتا في تفكيره كثيرا ما تراه يهمهم بأصوات مرسلة أقرب إلى الخرافة منها إلى المنطق" وهناك وظيفة أخرى للغة يؤكد علماء النثروبوجيا الاجتماعية من امثال مالينوفسكى إذ يرى أن اللغة " عامل من عوامل ربط الفرد بجماعته . وربط الفرد بجماعته أمر يسعى له الفرد بشتى الوسائل : فهو يقدس ما يقدسون ويأتي من الأفعال التقليدية ما يأتون . وهو في كل ذلك يقرر عرف الجماعة على نفسه واجبا يتبع وإن خالف اعتقاده بالذات"(1)

هذه بعض الأمثلة للخلافات التي تدور حول وظيفة اللغة والتي تمتلئ بها الكتب التي تبحث في هذه الناحية أو تلك من نواحيها (2) وهذه الخلافات ترجع إلى سببين : أولهما ميل كل من هؤلاء الباحثين إلى تأكيد الزاوية التي ينظر منها إلى اللغة واعتبارها الوظيفة الرئيسية لها فالذين يهتمون بالناحية النفسية يؤكدون التعبير عن الأفكار والعواطف والذين يهتمون بالنواحي المنطقية يؤكدون نواحي التفكير والذين يهتمون بالنواحي السياسية يؤكدون إخفاء المعلومات وستر الجهل والذين يهتمون بالنواحي الأدبية يؤكدون الاستماع والتسلية والذين يهتمون بالنواحي الاجتماعية يؤكدون نواحي الاتصال والارتباط والتأثير بين أفراد الجماعة في البحث عن وظيفة اللغة أو في النقطة التي يرى أن يقف عندها التحليل فبعضهم كان ينظر إلى أعلى مستويات التعميم فجعل الوظيفة الأساسية للغة هي ربط أفراد الجماعة ببعضهم البعض ولاشك أن هذه الوظيفة يندرج تحتها نقل الأفكار والاتصال والتأثير وإخفاء الجهل والاستمتاع والتفكير وبعضهم نظر إلى مواقف متخصصة يستعمل فيها الإنسان اللغة لغرض معين واشتق منها وظيفة معينة ولاشك أن الإنسان يستعمل اللغة للتسلية والاستمتاع كما قالت مدام دى ستايل كما أنه يستعملها لإخفاء الأفكار كما قال تاليران.

والذي يهمنا في هذا البحث الكشف عن متميزة للغة ليست من العموم بحيث يندرج كل شيء وليست من الخصوص بحيث يستحيل حصرها والانتفاع بما فيها من عناصر مشتركة ولو نظرنا في الآراء السابقة آمكن أن نبتين أن للغة أربع وظائف رئيسية في حياة الفرد والمجتمع هذه الوظائف هي التفكير والاتصال والتسجيل والتعبير ويمكن الوقوف على تفاصيلها في كتاب (طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة)(3)

اللغة بوصفها أداة اتصال

هذه الوظيفة يمكن أن ننظر إليها من ناحيتين :ناحية الفرد وناحية المجتمع.
أما من ناحية الفرد ،فنحن نعرف أن الفرد مدني الطبع ،وأن الاجتماع ضروري لحماية الحياة البشرية ،وقيام العمران ،ولكي يعيش الإنسان مع الجماعة، لا بد له من الارتباط والاتصال بأفرادها، واللغة أداته في هذا الاتصال عن طريق الكلام والاستماع.

فباللغة يستطيع أن يتصل بأفراد هذه الجماعة؛ليقضي حاجاته اليومية،ويعرف ما لديهم من أفكار ومعلومات ، وآراء ومشاعر،ويشارك في توجيه نشاطهم.

وعن طريق القراءة والكتابة يستطيع أن يخرج من حدود الجماعة الصغيرة،ويتصل بالمجتمع الكبير ليحقق مطالبه،ويطلع على ما يجري من أحداث وتطورات ،ويكسب خبرات أوسع ومعلومات أكثر، ويؤدي ما عليه من واجبات نحو هذا المجتمع.

أما من ناحية المجتمع ، فإنه يعتمد على اللغة في ربط أفراده بعضهم ببعض،وتوجيه نشاطهم غلى استغلال البيئة التي يعيشون فيها ،وتنسيق جهودهم في حل المشكلات الداخلية والخارجية التي تعترض حياتهم.وكلما ارتقى المجتمع وازدادت أموره تعقيدا ،اشتدت الحاجة إلى أدوات الاتصال ومهاراته .

ففي هذه المجتمعات تكثر الكتب والصحف والمجلات والراديو والفيديوتيب والتلفاز ، ليس هذا فحسب،بل إننا نجد أنواعا متعددة تحت كل وسيلة من هذه الوسائل ،فهناك كتب الأطفال ،وكتب الصبيان ، وكذلك الكتب العلمية ، والكتب الأدبية والتاريخية...الخ ومثل ذلك يمكن أن يقال عن الوسائل الأخرى.

اللغة بوصفها أداة للتعبير

المراد بالتعبير ،عرض الأفكار التي يراها الإنسان، أو الانفعالات التي يحسها، وبذلك يكون التعبير وسيلة الإنسان لعرض معانيه وأفكاره ومشاعره باستخدام الرموز المكتوبة أو الأصوات المنطوقة،وأوضح ما تظهر هذه الوظيفة في الأدب،سواء أكان وصفيا أم إنشائيا.
وهذه الوظيفة للغة لايمكن فصلها عن الاتصال ؛لأن الأديب وهو ينتج يفكر في سامعيه، أو في قراء معينين.

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

في تلك البقعة التي اصطلح الناس على تسميتها "جزيرة العرب" ،عاشت أمة جاهلية ، فكانت في جملتها أذل الناس ذلا ، وأشقاهم عيشا، وأبينهم ضلالة ، وأعراهم جلودا ،وأجوعهم بطونا، معكومين على رأس حجر ، بين الأسدين : فارس والروم ،تجتهلهم الحمية فيثورون لأقل الأسباب دعوة إلى ثورة؛يحتربون حتى ما تضع الحرب أوزارها، إلا ليستأنفوا أخرى أزكى نارا،وأقوى استعارا ، وتستنفرهم حاجة العيش فينفرون إلى التماس الرزق من أحقر سبله، وأخس وجوهه ، لا يبالون بما أتوا ، ما داموا يشبعون غرائز غرسها فيهم شظف العيش ، ونشأهم عليها جدب الصحراء.

و تتيقظ فيهم غريزة الخضوع التي فطر عليها الناس،تقسرهم على البحث عن إله له من القدرة ما ليس لهم ؛ فيقومون إلى الأحجار ر ينحتونها أصناما يسبحون بحمدها ويقدسونها،لا يصدهم عن ذلك ما بها ـ من قماءة وذلة ـ يكاد يهتف بهم :"إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم،ما أنزل الله بها من سلطان".

لا والله ، ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه : من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات تردى في النار.

والله، ما نعلم أمة في حاضر الأرض كانت أصغر حظا وأدق شأنا منهم ـ حتى جاء القرآن فنقلهم من الذلة إلى العزة ،ومن الشقاء إلى السعادة ؛ بل من الموت إلى الحياة ؛ورفعهم من أمة محقورة ، لا تكاد تحفل بها أمة ، ولا يأبه لها شعب ، إلى سادة في الأرض وملوك على رقاب الناس.

جاء القرآن فهذب أخلاقهم ، ورقى أفكارهم ؛ووجه أنظارهم إلى مثل أعلى هو المثل الأعلى ، ودفعهم ـ بعد أن لقنهم الفضيلة في أسمى صورها وأجمل معانيها ـ إلى الأمم : يغزونها ؛ في إيمانهم قوة الحق والسيف ، فإن اهتدت كان لها ما لهم ، وعليهم ما عليهم ، وإما أبت ، فبسطوا عليها سلطانهم ونشروا نفوذهم ، فدانت لهم الدنيا ، وانقاد العالم ، وتخلصوا من محل البداوة العاصف إلى ظل الحضارة الوارف .

فلست تشفق من خلاف مخالف ، وإنكار منكر ، وتجهم معترض،إن قلت إنه خلقهم خلقا جديدا، ما كانوا يحلمون أو يفكرون به.

ذلك أثر القرآن في العرب أنفسهم ، ولغات الأمم في كل عصور التاريخ ذوات صلات قوية ، ووشائج متينة بأممها ؛فرقى أية أمة في أي زمن رقى للغتها ، وانحطاطها انحطاط لها ؛ من حيث كانت اللغات مرآة تنعكس عليها صورة العيش وألوان الحياة، حتى ليستطيع الباحث أن يتبين فيها ما كانت تلا بسه الأمم في شتى مجالات الحياة العقلية والسياسية والاجتماعية.
فإن كان القرآن قد أثر في الأمة العربية هذا التأثير الذي لا يصل إليه إلا الإجمال ، ولا يكاد يدركه التفصيل ؛ فليس الأثر الذي أحدثه في لغتها بأضيق من الأثر الذي أحدثه فيها، كيف واللغة العربية أعظم استعدادا لقبول هذا الأثر وأكثرا نقيادا من الأمة العربية وهذا الذي بدا في رجوع العرب بعد قليل إلى أخلاق الجاهلية واطرحهم أحكام الإسلام مع أن اللغة ظلت تمشى قد ما لا يتكائدها معنى ولا يشق عليها أن تساير الحياة الجديدة شاهد ذلك ودليله.

تلقت اللغة هذا الأثر العظيم وفيها من الحصانة وعندها من استعداد وأعنى بذلك عوامل النمو فيها ما يدفع عنها خطورة الانتقال من حجر ضب إلى ملك واسع الرقعة مترامى الأطراف فلم يعجزها أن ترى ما لم تكن رأت

فقامت به واتسعت له مستعينة على ذلك بالنحت طورا والتجوز تارة والتعريب أخرى فانتصرت على ماكان خلقا أن يعييها ويقفها منه موقف الذليل الضعيف .
وتلقى العرب أثر القران فيهم ولم تكن فيهم تلك الحصانة المنيعة فلم يلي=بثوا أن فنوا في غيرهم ولم تعد لهم الشخصية العربية باقية كما بقيت للغة شخصيتها حتى في عصور الضعف والاضمحلال.

تأثرت اللغة من طريقين:

وأولهما : طريق مباشر وهو ما في القران من جديد في اللفظ والمعنى والغرض وال أسلوب فقد علمنا أن العرب حين يسمعوا القران سمعوا شيئا ملأهم روعة وإعجابا فرجعوا إلى أنفسهم يلتمسون عندها ما يمكن لهم أن يسابقوه
في الميدان عرف بهم ولهم حتى لا يستأثر دونهم بالقلوب تهتز له والأسماع تدعى إليه ولكنهم وجدوا عندها العجز واضحا والإخفاق فاضحا
أعجزهم كما يقول الشيخ :

" مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها ومجارى ألفاظه ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل خير وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام وتذكير وترهيب وترغيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان وبررهم انهم تأملوه سورةً سورةً وعشراً عشراً وآيةً آيةً فلم يجدوا في جميع لفظه ينبو مكانها أو ينكر شأنها أو يسرى أن غيرها أصلح هناك أ شبه أو أحرى أو أخلق بل وجدوا اتساقها بهر العقول ونظما أعجز الجمهور ونظاما والتئاما واتقانا وإحكاما ولم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه السماء موضع طمع حتى خرست الألسن أن تدعت وتقول وخلدت القروم فلم تملك أن تصول..."

لا ريب أن ذلك من شأنه أن يحملهم على إدمان النظر فيه وشدة التامل له من ذلك يحملهم محاكاته والتأسّى به في ألفاظه وأساليبه ومعانيه فان النفوس مفطورة على حب الكمال ومحاولة السعى إلى إدراكه والجرى في طريقه.
ولئن فاتهم أن يلحقوا القران في حسن سبكه وقوة نسجه وإحكام أساليبه وتخير ألفاظه وقوة معانيه وسمو أغراضه وما ألى ذلك مما وقفهم موقف الحيرة والدهش وجعلهم يرمونه تارة بأنه سحر وأخرى بأنه شعر إنه لن يفوتهم أن يتحروا ما يدنيهم منه و ويقربهم إليه ولهذا أثره البالغ في تهذيب لغتهم وإحكام أساليبهم وتخير معانيهم وإفاضة فنون من التجديد على هذه اللغة بوجه عام

الطريق الثاني : طريق غير مباشر وذلك تمكينه للعرب أن يختلطوا بغيرها من الأمم ذوات الحضارة الرائعة ووضعه تحت أنظار العربية المدنية الفارسية و الرومية والمصرية ترى فيها ما لم تمكنها منه حياتها البدوية فيكسبها ذلك غنى وثروة فيما لم تعرف إلى غنى والثورة فيما عرفت فقد رأينا المملكة الإسلامية تتكون من أمم مختلفة في عاداتها وتجاربها ومناهج تفكيرها وسائر مظاهر حياتها والعرب قد امتزجوا بهذه الأمم بالتزاوج والتسرى والاختلاط فبعد أن كانت اللغة ملك العرب أصبحت ملك المسلمين جميعا فهى في الجزيرة والعراق والشام ومصر والأندلس غنية في كل نواحى الحياة بعد أن كانت ثروتها في حدود بيئتها تعرف الجمل وما إليه

وتجيد تصوير الصحراء وما فيها مما يتصل بحياة العرب وتأخذه حواسهم فقد عرفت المنطق وأوت العلم واحتملت الدين وقد كانت لا تعرف من ذلك شيئا أو تعرف منه ما هو علم لا ينقع وجهالة لا تضر.

وليس من شك في القران هو الذي مكنّن للعرب أن يختلطوا بغيرهم من الأمم التي نفسها فوق أولئك الذين نشأتهم الصحراء القاحلة فيها شتى صنوف الفقر وألوان الشقاء .
وأى مساغ للشك في ذلك ونحن نعلم أن هذا الجيل من النوع الإنساني على ما به من هنجهية وما فيه من جهالة ليس عنده الاستعداد لهذا الاختلاط – ولئن فرضنا ان فيه أستعدادا لذلك فمن أين له أن يفرض لغته على قوم لهم لغات نشأتها الحضارة فعرفت ما لا تعرف العربية منه قليلا ولا كثيراً؟

قلنا إن القرآن أثر في اللغة من طريقين : طريق مباشر وآخر غير مباشر كان وإلى أي حد كان هذا التأثير وما مظاهره؟

ذلك وما يتصل به هو ما أريد أن أمسه بعد في كثير من الإجمال وأن أبرااإلى الله تعالى من حولى وقوتى إلى حوله وقوته ضارعاً إليه عز اسمه ان يلهمنى الصواب ويهدينى سواء السبيل.(4)

اللغة العربية ورهان التنمية:

لقد كان مفهوم التنمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية عقد الثمانينات ـقاصرًا على كمية ما يحصل عليه الفرد من سلع وخدمات مادية، ولكن مع تدشين مفهوم التنمية البشرية سنة 1990 عندما تبناه برنامج الأمم المتحدة للإنماء، أصبح الإنسان هو صانع التنمية وهدفها. فصار الحديث يتناسل عن المؤشرات الجديدة على هذا المفهوم، وكيف السبيل إلى تحقيق جودة حياة لهذا الإنسان، من خلال الارتقاء بمستويات عيشه المادية والمعنوية في توازن مع محيطه وثقافته وتاريخه ولغته.فمفهوم التنمية البشرية يستند إلى الإنسان وتكون غايته الإنسان, فهدف التنمية البشرية هو تنمية الإنسان في مجتمع ما, من كل النواحي: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والفكرية(5).
وفي اللسان العربي نجد التنمية كلمة مشتقة تعني الزيادة والانتشار, ومن هنا نعرف أن التنمية يجب أن تعني زيادة ورفعة وتحسين ما هو موجود أصلاً ونشره وتعديه إلى غيره, بحيث يساهم في رفعة غيره وتحسينه أيضاً.
ونحن ممن يعتقد أن التنمية البشرية إذا كانت تبدأ بالإنسان وتنتهي به، فإنها لا ينبغي أن تتجاهل أهم معطى تواصلي يربط هذا الإنسان بمحيطه ويرسم له علاقاته ويحددها بل ويختزن خريطته عن العالم والوجود ألا وهو اللغة.ومهما اجتهد الإنسان في تلبية سائر احتياجاته المادية وتنميتها متغافلا عن العناية بلسانه فإنه يكون كمن يتحرك تحركا أعرج متعثرا.
ولما كانت اللغة هي مرآة الحياة، فإنها تتأثر بكل أحداثها(6)، وهي كما تتأثر بالأحداث فإنها تؤثر فيها، بل وتصنعها على ما يعرفه أصحاب نظرية الأفعال اللغوية، والعربية بإمكانها أن تكون لسانا مساهما في التنمية بالمعنى الشمولي، وذلك أن مخاطبة الناس المعنيين ببرامج التنمية إذا كانت بغير لسانهم فإن اللغة حينئذ تصير معيقا تنمويا يعطل عجلة التطوير والتقدم، لما تشكله إجراءات التواصل بغير اللسان العربي بين العرب من إعاقة نفسية وعملية تظهر من خلال تأخر سيرورات الفهم والتفاهم في نفس الآن والحاجة للترجمة المكلفة من غير فائدة.
كما أن تعطيل اللغة العربية واستبعادها من الحياة العامة ،أي من الإدارة والقضاء والتجارة والإعلام وغيرها ،يتعطل معه جزء كبير من التفاعل النفسي الذي تحتاجه برامج التنمية إذ التنمية ليست عمليات ميكانيكية أو برامج قسرية نخضع لها الإنسان قصد تحقيق نمو مطرد أو ازدهار محسوب، وإنما هي قضية تفاعل ومشاركة وجدانية جماهيرية يساهم فيها اللسان العربي بقدر وافر في الدفع بكافة الأطراف وتشجيعهم على المضي والاستمرار في تطبيق هذه البرامج التنموية

توطين المعرفة

إن ربط اللغة العربية بالتنميةالبشرية له ما يبرره على مستوى توطين المعرفة واتخاذ ما يلزم لتمكين اللغة العربية من استرجاع وظيفيتها وجعلها لغة العلم والإدارة والتعليم والتسيير والاقتصاد، وشان التعامل باللغة

العربية في هذه القطاعات الحيوية داخليا على الأقل شأن التعامل بعملة موحدة في مجال التجارة، فكلما كانت العملة واحدة موحدة كانت المعاملات أكثريسرا وأبعد عن التعقيدات وأنجع في الفائدة والتبادل والتفاهم.

وحاصل العلاقة بين اللغة العربية والتنمية يمكن أن يكون ذا بعدين نصوغهما في السؤالين التاليين:
الأول : كيف تخدم اللغة العربية باعتبار ها لسان الأمة مسارات التنمية؟
والثاني: كيف يدخل تطوير اللغة نفسها ضمن مشاريع التنمية؟
فيظهر من خلال المدخلين قيام نوع من التخادم بين اللسان والإنسان (أداةً وغايةً كل تنمية بشرية). وذلك لأن اللسان العربي يحتاج حتى يواكب متطلبات التنمية تطويرا لأساليب تدريسه وتوسيعا لوعائه بانفتاحه على ما جد في عالم المعرفة وتقنياتها. كما أن عملية التطوير هذه أو التجديد اللساني قصد إعداد اللغة العربية لمتطلبات الحياة المتغيرة مرتهن أيضا بنهوض الأمة وبضرورة تقوية الأواصر بين أقطارها المختلفة تحقيقا لاتحادها.

تقريرَ المتّحدة الإنمائي بتعاوُن مع الصّندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، أصدرَ برنامج الأمم من المفكّرين العرب البارزين توجّهوا به التّنمية الإنسانية العربيّة الثّاني [سنَةَ 2003م] وهو تقرير أعدّه فريقٌ وعنوانُه: «نحو إقامة مجتمع للمعرفة» . وهو يُحلّل حالَ المعرفة أوّلا وقبل كلّ شيء إلى الجمهور العربي ، تجولُ دون اكتساب الإنسانيةً في الدّول العربية، ويُقدّم تقويمًا شاملاً لها، ويحدّد المعوقات التي ووضعَ التّنمية باعتبارِهما قوّةَ الدّفع المحرّكة للإبداع المعرفة ونشرها، ثمّ ينتقل إلى استشراف مستقبل التعليم والبحث إلى اقتراح رؤية استراتيجية يمكن أن تُحوّلَ العالَم العربي وتدفَعَ به المجتمعي والاقتصادي. ويهدفُ التقريرُ إنتاج المعرفة في البنية الاجتماعيّة والاقتصادية نحو نمط

المعرفيّة العربيةَ أهمّيةً كبيرةً، ويؤكّدُ دورَها الأساسَ في مجتمع المعرفة والتّنمية يولي التّقريرُ اللّغةَ يتعاظمُ باطّرادٍ، فللعربيّة دورٌ كبيرٌ في والاقتصادية والحاسوبيّة؛ لأنّ دورَ اللّغة في توليدِ المعرفة الحديثة فريدةٍ على الاشتقاق، وما تملكُه من نحوٍ يتّصفُ بالمرونة، ومُعجمٍ مجتمع المعرفة بفضلِ ما تملكُه من قدرة تقدّمُ فُرصًا والمترادفاتِ والمعاني، وأنّ للعربيّةِ ثراء في المبنى وغنى في الإمكانياتِ، بحيثُ غنيّ بالمفرداتِ .باقتدارٍ نادرة لولوج العربِ في عصرِ المعلوميات وعالَمِ الكثافةِ المعرفيّة

الإنسانيّة حينَ قامَت حركةُ تعريبٍ عربيّة ارتبطت وقد أثبتت اللغة العربية قدرةً فائقةً على حملِ أرقى المعارفِ .إنتاج المعرفة بمدرسة علميّة عربية قادرةٍ على
التقرير أهمّية تعريب التعليم العالي الجامعي، واعتبره وفي علاقة اللغة العربية بنقلِ المعرفة واستيعابها، أكّد أدوات أكثرَ من كونِه قضية قومية فحسب؛ لأنّه أضحى أحد المستلزَمات الأساسِ لتنمية مفتاحَ النهضةَ الثّقافيّة المعرفة المتسارِعة المتجدّدة. ولهذا وجب التفكير والقدرات الذّهنية والمَلَكاتِ الإبداعيّة، فضلا عن استيعابِ والإبداعَ بلُغته العربية. ولا بدّ أن يولي الباحثونَ أهمّيةً كبيرةً لفهمِ طبيعةِ تعليم الشّبابِ العربيّ التّفكيرَ النّقدي ومن شأن هذه الأهمّية .العلاقة بين المنظومة اللغوية العربية من جهة، وبين عمليات التّفكيرِ من جهة أخرى مُعارضي التّعريب. والتّعريب ينبغي أن يسيرَ موازياً لتدريس أن تسوّغَ تعليمَ العلوم باللغة العربية، وتُفنّدَ ذرائعَ يَحولُ دونَ نشر لاحظَ التّقريرُ تدنّي مستوى إلمام الشّبابِ العربي باللّغة الإنجليزيّة، مما اللغات الأجنبيّة. وقد الأعمال الأجنبيّة إلى العربيّة ضعيفةٌ، ولا تواكبُ الأبحاث العربيّة في المجالات العلميّة العالَميّة، كما أنّ ترجمةَ .والمُتسارِعَ في العالَم التّجدّد المعرفيّ التّراكُمي

يرونَ أنّه ينبغي حَفزُ هذا القطاع المهمّ من خلال رغبة سياسية جادّة أمّا عن البحث العلميّ فإنّ أصحابَ التّقرير مهمّة. فما تُنفقه الدّولُ العلم وتأسيس البنية التّحتيّة اللاّزمة ، وهو أمر يحتاج إلى مخصّصاتٍ مالية في توطين القوميّ، إذا ما قورِنَ بِنِسَب الدّول المتقدّمة. وتدنّي تمويلِ العربيّة على البحث والتّطويرِ نسبةً ضعيفة من الناتج العلم والعلماءِ يُفسّر محدوديّةَ النّشاط العلمي، إضافةً إلى غياب الوعي المجتمعيّ بضرورة دعم البحث العلمي .والتّوجّه الأكاديمي الصّرف لأغلب مراكز البحث

استخدام تقاناتِ المعلومات التقريرُ أنّ اللغة العربية لها دورٌ بارز في اللّحاق بعصر المعلوماتِ، وإشاعة ويرى هذا اتّخاذَ إجراءات عاجلة على الصّعيدين الوطني والاتّصالات باعتبارِها وسيلة لإنتاج المعرفة . ويتطلّب ينبغي محو الأمّية وتعميم الثّقافة في أوساط النساء خاصّة، وإتاحة الفُرص والإقليمي؛ فعلى الصّعيد الوطني في التّعليم، وأمّا ميدان تِقانة المعلومات للجميع، وإزالة كلّ حواجز الاحتكار، واستخدام هذه التّقانة للولوج في

الوطن العربي تقوم على أسس استراتيجيّة على الصّعيد الإقليمي فيجب صياغة سياسة متكاملة للمعلوماتِ في ومعالَجَةَ اللغةَ العربية حاسوبيا تعتمد المدخلَ الثّقافي لصناعة المعلوماتِ،.

التربية والتّعليم، ويدعو البلدانَ العربيةَ إلى التّركيز عليهما، والاستثمارَ ويُعالجُ التّقريرُ قضايا أخرى كقضية عمالقةِ الاقتصاد الأسيويّين المبكّر في ميدات التّربية، والارتقاءَ بمستوى التّعليم، والاستفادةَ من تجربة تطويرِ البنية الأساسية لوسائل الاتّصالِ ينوّه التّقريرُ باستخدام وبعدَ الإشادة بتقدّم بعض البلدان العربية في في وسائل الإعلام، ومخاطبة فئة عريضة من المواطنين العرب اللغة العربية.
استراتيجيّة تنتظمُ التّنمية الإنسانية العربية 2003م تحليلَه لأوضاع المعرفة العربية بطرح رؤية ويختتم تقرير النّهوض بالعربية من خلال إطلاق نشاط حول "تأسيس نموذج معرفي عربي" عامّ أصيلٍ منفتح، يعتمدُ على بتعريب المصطلحاتِ ووضع معاجمَ وظيفيّة متخصصة، وتيسير بحثي ومعلوماتي جادّ في ميدان اللغة العربية، على السّليمة... وإثراء التّنوّع الثّقافي داخل الأمّة ودعمه والاحتفاء به، والانفتاح اكتساب اللغة العربية الأخرى الثّقافاتِ الإنسانية الأخرى عبر حَفز التّعريب، والتّرجمة إلى اللّغاتِ.

مجتمع المعرفة

يكثر اليوم تداول مفهوم " مجتمع المعرفة " أو المجتمع المعرفي في وسائل الإعلام وأدبيات وتقارير منظمات التنمية البشرية، وهو المفهوم الذي يعرّفه بعض المفكرين على أنه يعني: توافر مستويات عليا من البحث والتنمية وتكنولوجيا المعلومة والاتصال.

إن مجتمع المعرفة هو مجتمع الثورة الرقمية بامتياز، التي أسهمت في تغيير العلاقات في المجتمعات المتطورة ورؤيتها للعالمين ، حيث أصبحت المعلومة والمعرفة سمة ومقياسا لمعنى القوة والتفوق في صياغة أنماط الحياة وتشكيل الذوق الفني والقيم وضاعفت من سرعة الفتوحات العلمية والإبداعية والتراكم المعرفي.

إن المعرفة هي القيمة المضافة الأهم في مجال الثورة التكنولوجية، التي تبشر بعالم ما بعد الحداثة والتصنيع وإنتاجها هو الرهان ، وتسويقها يعد المحرك الأول للتنمية المستدامة والحلبة الأهم للتنافس الدولي ومصدر القوة والمناعة للأمم المتفوقة في إنتاجها.

ومن ثمة فإن امتلاك ناصيتها يؤهل أصحابها لبسط نفوذهم وقوتهم وسيطرتهم السياسية والاجتماعية والثقافية على غيرهم.

ففي مجتمع المعرفة يحظى التعليم والثقافة والاتصال واستخدام الذكاء الاصطناعي وتأهيل الإنسان بمناهج ومحتويات البرامج الراقية لأن يغدو فعالا ومبدعا في مؤسسات تسهر على زيادة الإنتاج وتفعيل آليات التفكير والتجديد والاختراع والمر دودية العالية.

وإذا كان حاضر المجتمعات المتقدمة يعرف بمجتمعات المعرفة ، فهل – يا ترى – بإمكان مجتمعاتنا الموصوفة بالنامية أن تستشف مستقبلا مماثلا لما وصل إليه العالم المتقدم ؟، وكيف نهتدي إلى أقوم السبل، وأنجع الطرائق للوصول إلى هذا الهدف الاستراتيجي
أما الدكتور شوقي جلال
"المعرفة ليست كما تراكميا مهما زاد حجمها، بل المعرفة إبداع اجتماعي نسقي واستثمار توظيفي هادف في تكامل بين فنونها، ونشاط تجديدي من خلال الفعل والفكر في تغذية متبادلة ومطردة"

الدكتور برقوق

"مجتمع المعرفة لا يعد مجرد مفهوم جديد بقدر ما يعد فلسفة تنمية هادفة لخلق آليات للتحول من مرحلة في تنمية المجتمعات قائمة على التراكمات المادية الى مجتمع يتميز عن غيره من حيث الهيكلة المعرفية القيمية، من حيث الانتاج الابداعي والتكنولوجي، وكذلك من حيث التأسيس لحركيات الارتقاء الحضاري
الأستاذ هاني نسيرة تناول "من إشكالات اللغة الى اشكالات الوعي" والمداخلة هي الأخرى تحاول بناء مشاهد استخيالية لمجتمع المعرفة أي وصف خارجي يتمناه المحاضر أو يحاول رسم حدوده وخرائطه التثاقفية،

تمهيدا للطريق نحو مجتمع المعرفة، اهتزازات الايديولوجيات التي تم طرحها على مستوى العالم العربي، الطروحات الفوقية، مجتمع المعرفة هو العاصم من التعصب على مستوى التشكلات المجتمعية والمذهبية، العالم العربي على هامش الفعل التاريخي، الفرق بين مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة وهذا لا يتأتى إلا بتوفر وسائل المعرفة في مجتمع المعلومات أما مجتمع المعرفة فهو مجتمع الوعي المعرفي، وهكذا تمضي المداخلة تصوير المشهد لا اقتحامه. وهذه المداخلات كلها تطرح السؤال: "هل المجتمع العربي يعيش أزمة فكر معرفي؟". و"هل إذا استطعنا الوصول لبناء مجتمع معرفي نستطيع أن نبني اللغة التي تواكب المجتمع المعرفي؟"، تبقى القضية مقيدة بحل أزمات المجتمع من تحرير خبزه ومسكنه وملبسه ومركبه، وهنا فقط يمكن تحرير معرفته وثقافته من كل العوالق الأخرى وبهذا يبنى مجتمع المعرفة.

إن مجتمع المعرفة هو مجتمع الثورة الرقمية بامتياز، التي أسهمت في تغيير العلاقات في المجتمعات المتطورة ورؤيتها للعالمين ، حيث أصبحت المعلومة والمعرفة سمة ومقياسا لمعنى القوة والتفوق في صياغة أنماط الحياة وتشكيل الذوق الفني والقيم وضاعفت من سرعة الفتوحات العلمية والإبداعية والتراكم المعرفي.

إن المعرفة هي القيمة المضافة الأهم في مجال الثورة التكنولوجية، التي تبشر بعالم ما بعد الحداثة والتصنيع وإنتاجها هو الرهان ، وتسويقها يعد المحرك الأول للتنمية المستدامة والحلبة الأهم للتنافس الدولي ومصدر القوة والمناعة للأمم المتفوقة في إنتاجها.

ومن ثمة فإن امتلاك ناصيتها يؤهل أصحابها لبسط نفوذهم وقوتهم وسيطرتهم السياسية والاجتماعية والثقافية على غيرهم .

ففي مجتمع المعرفة يحظى التعليم والثقافة والاتصال واستخدام الذكاء الاصطناعي وتأهيل الإنسان بمناهج ومحتويات البرامج الراقية لأن يغدو فعالا ومبدعا في مؤسسات تسهر على زيادة الإنتاج وتفعيل آليات التفكير والتجديد والاختراع والمردودية العالية.

وإذا كان حاضر المجتمعات المتقدمة يعرف بمجتمعات المعرفة ، فهل – يا ترى – بإمكان مجتمعاتنا الموصوفة بالنامية أن تستشف مستقبلا مماثلا لما وصل إليه العالم المتقدم ؟، وكيف نهتدي إلى أقوم السبل، وأنجع الطرائق للوصول إلى هذا الهدف الاستراتيجي؟
ذلك ما تحاول بعض المؤتمرات والندوات في البلدان العربية الإجابة عنه، من خلال استشراف الاستراتيجيات حول كيفية إقامة مجتمع المعرفة؟

وهذا هو مسعى الدراسات التي تطمح إلى تلمس طريق المعرفة، مع ربطها باللغة العربية، ذات الماضي التراثي في عصر نهضتها الزاهر، لا سيما ونحن نعيش ما يصطلح على تسميته بالفجوة الرقمية، أي اتساع الهوة بين الجزء الذي يصنع حداثة العصر عن طريق الاكتشاف والاختراع والإبداع، وبين الجزء المتخلف عن الركب ومنه منطقتنا العربية، ونلاحظ أن الجزء المتقدم من المعرفة، وقاطرتها هي البحث الأساس والتقانات المتقدمة تقع في منطقة الحظر والاحتكار (حالة عبد القادر خان الباكستانية وما يعرف بالتجسس الصناعي)

كثير من المفكرين والساسة على وعي بهذه الفجوة، وعلى إدراك تام بأن ليس لنا أي خيار آخر، سوى العمل الجاد على تداركها ، برأب الصدع المعرفي، وبالتفكير المؤسس، واعتماد الأدوات الإجرائية كأفراد ومجتمعات ودول للوصول إلى مجتمع المعرفة.

إن مجتمعاتنا العربية لم تستفد من الثورة التكنولوجية بحكم التخلف الموروث عن مراحل الاستعمار ، وضعف وتيرة النهضة الفكرية والعلمية والثقافية وبقاء نسبة عالية في ظلام الأمية، وضعف حصائل المنظومات التربوية والتعليمية، وقلة الاستثمار العقلاني في البحث وربطه بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

من حق بلداننا بل ومن واجبها السعي إلى تنمية مستدامة قوامها المعرفة التي ينبغي أن تتاح للشعوب دون مفاضلة أو تفرقة وتوزيعها بينها بعدالة للأخذ بناصيتها ولتستفيد من حصائلها كحق من حقوق الإنسان بما فيها حقه في الحياة والكرامة والسيادة والمساواة .

التعليم وبناء المعرفة

التعليم له عدة وظائف في المجتمع المعاصر وإحدى هذه الوظائف من دون شك هي إعداد الطلاب للمساهمة في المجتمع الأوسع عن طريق تزويدهم بالمها رات والمعرفة الضرورية للعمل المنتج لكن عندما ينظر إلى هذه الوظيفة على أنها تمثل غاية الغايات بحيث تترجم في سياق مخطط لمنهاج دراسي يتضمن معرفة مهارات محددة سلفاًعلى أساس من الاحتكار التنافسي الفردي تصبح عندئذ غير فعالة كما يراد لها أن تكون وما هو أسوأ من ذلك انها تصبح نسخة متكررة للتعليم بمعناه الشمولي.

والحجج التي لا تتفق مع هذا الشكل من التدريس قد أعلن عنها بقوة مجموعة كبيرة من المهنيين والنظريين أيضاً ولعل الاعتراضات الأكثر بروزاً يمكن إجمالها بشكل إيجابي على النحو التالي :

التعليم ليس شكلاً منفصلاص للنشاط بل هو مظهر متأصل للعمل مع بخرين في أعمال هادفة تعود بالنفع على جميع المشاركين وهو يتطلب تحولا متناميا للمعلم\ المشارك ولا يحدث على أساس نموذجي في مناسبة منفردة وإنما طوال الوقت.

* المشاركة تحصل بشكل تام عندما يكون لدى كل مشارك اهتمام شخصي في تحقيق أهداف النشاط وفي وضع حلوال للمششكلات التي تواجهه.

*في عملهم معاً يستفيد المشاركون من مواردهم المتوفرة ويعتمدون على مساعدة الآخرين ويضم هؤلاء الأقران أفراداً آخرين إضافة إلى المعلم ومصارد المعلومات الإلكترونية والمكتبة وكتاب المنهاج الرسمي.

*التعليم يتطلب بأكيد تطويرالتخطيط واستدخال مجالات جديدة للاستكشاف وعرض تحديات تنسجم مع اهتمامات الطلاب وقدراتهم وتقييم الإنجازات الفردية ومدى تأثير الأنشطة التي يقوم بها المشاركون كما يتطلب التعليم وبشكل مهم إشراك الطلاب بهذه المسؤوليات وتوفير المساعدة المشروطة لأفراد ومجموعات لدى انشغالهم بمهام معينة يكون الهدف منها ليس تمكينهم من إكمال مهمتهم فحسب بل تطوير قدراتهم لفعل ذلك بمفردهم في مناسبات مستقبلية .

وفي عملنا الخاص مع أعضاء الهيئة تدريسية من مجموعات الاستعلام التطويرية في مشروع التربية مجموعة بحث العمل التعاوني خاصتنا حاولنا الالتزام بهذه المبادآء عن طريق تشكيل " مجموعات استعلام" في غرفنا الصفية وفي إطار القيود التي تفرضها بشكل ظاهري سياسات المنهاج وجطوطه العريضة والمطالب من أجل تقييمات نموذجية فقد حاولنا اختيار موضوعات تتيح المجال للطلاب انتقاء ما يتفق مع اهتماماتهم وحيثما يكون ثمة إمكانية نقوم بتشجيعهم على استخدام عدد من طرق الاستعلام بما في ذلك الملاحظة تجريبية والقيام بتجارب واستطلاعات الرأي والبحث المكتبي .

كما أننا نولي اهتماما بالتركيز على المناقشات صفية التي يعاين من خلالها العمل سواء كان في وضع متقدم أم مكتمل بهدف إجاد روابط بين الموضوعات التي تم بحثها وتشجيع الموقف المتقدم لاختيار الأهداف والاستراتيجيات الطلاب أن يتحملوا مسؤولية أعظم في تعلمهم الخاص .(7)

كيفية توطين المعرفة بعد أن أصبحت عالمية

يقودنا هذا العنوان إلى ضرورة الإيمان - أولاً - بعالمية المعرفة إلا أن تطبيقاتها الفاعلة لا بد أن تخضع - دون شك - للخصوصية الثقافية والحضارية لكل أمة بما يمكنها المرور عبر قنواتها من أجل ألا تظل معرفة دخيلة، وبالتالي فإن ذلك يشترط ضرورة دمج المعرفة على اختلاف تنوعها الحضاري في صلب التكوين المعرفي الوطني للبلاد. ولتحقيق جودة نوعية المعلومات المعرفية فإن الأمر يتطلب ضرورة التركيز على اختيار عضو هيئة التدريس في الجامعات السعودية الذي لا يقدم نفسه كوكيل استيراد للمعرفة من موطن

نشأتها، وإنما يقدم شخصه كأستاذ «منتج للمعرفة» وقادر على تطبيقها بعد استيعاب فلسفتها القائمة عليها والوظائف التي وضعت لها، ثم توطينها لتصبح عملية إنتاج أصيلة للمعرفة تخدم بحق أغراض التنمية في البلاد. ويشترط في مثل هذه الحالة على عضو هيئة التدريس المنتج للمعرفة ضرورة جمعه ما بين ثقافته العلمية المتعمقة، والثقافة الإنسانية الواسعة «الثقافة الثالثة»، إضافة إلى سعة الذهنية والأفق المتفتح على مختلف تيارات الثقافة والمعرفة المتنوعة والتعمق فيها. الواقع أن ما نراه مطلباً ضرورياً من وزارة التعليم العالي يصب في خانة عدم التعامل مع المعرفة في الجامعات السعودية من خلال التعامل فقط مع العولمة وتحدياتها، وإنما من خلال إيجاد نوع من التوازن ما بين التعامل مع العولمة من ناحية، وتنمية الوعي والقدرات للانخراط في مشاريع التنمية المستدامة من ناحية أخرى، على أن تربط مسألة الإعداد للمستقبل والانفتاح على العالم بتعزيز للهوية الوطنية والثقافة، التي تلعب معرفة العلوم الإنسانية دورها الحيوي في هذا المجال من خلال ربط الطالب بتاريخه ومجتمعه في الوقت نفسه التي تعمل معرفة هذه العلوم على تنمية الالتزام بالقضايا الوطنية مع إدخال الحيوية والتجديد إلى الموروث الثقافي.
كما أن البُعد قدر الإمكان عن استمرار تصنيف نجومية الطلبة الجامعيين على مستوى الذكاء والتحصيل فقط من دون الالتفات المهم إلى محاولة اكتشاف جوانب القوة في إمكاناتهم، ما يوفر لهم مستقبلاً للنجاح في حياتهم، يعد من الأمور التي لا تساعد على توفير فرص لمتطلبات سوق العمل، لهذا فإن الأمر يبقى مرتبطاً بمدى قدرة القائمين على التعليم العالي في البلاد من الوصول بالطالب الجامعي إلى مرحلة تمكينه من إنتاج الفكرة، ثم استكمال مقوماتها المعرفية لتتحول إلى تجربة قد تحقق رؤية مستقبلية تبشر بالفعل عن الإمكانية على إعداد قيادات للمستقبل. والقدر
كل ذلك غير مستحيل تحقيقه في وزارة التعليم العالي السعودية، بشرط العمل على استرداد مكانتها الريادية من خلال الإثبات على قدرة استقلاليتها العلمية والفكرية والثقافية من «الارتهانات» التي تعرضت لها.

أبرز المعوقات التي تحول دون التأسيس لمجتمع المعرفة ونشرها باللغة العربية

الدكتور محمد الطيبي مفكِّر وباحث جزائري يكتب باللغتين العربية والفرنسية، متخصص في حضاريات العرب والمسلمين إنتاجاً وتوجهات، باحث بـ (مركز الإسلام وإشكاليات الفكر الجيوسياسي)، صدرت له 4 كتب، وله ثلاثة أخرى تحت الطبع، يعدُّ أحدَ أبرز المهتمين في الجزائر بموضوع ''إنتاج المعرفة''

ـ ليس مجتمعُ المعرفة، كما يُروَّج له، حدثاً خارقاً ولا منقطعاً عن مسار التاريخ، إنما هو امتداد بنيوي وتنظيمي لمفاهيم عمران بشري حملتها مدنياتٌ متعاقبة ومتداخلة ومتجابهة أحياناً، معها نشأت اللغات ونمت بل وتنامت حاملةً، على عكس غيرها من المجتمعات المتأخرة، مفاهيمَ نمائها ودلالات فلسفتها، وتعابير قيمها، وجماليات خيالها.

والعربية، وأكثر من اللغات ذات الأصول الإغريقية واللاتينية، تصدَّرت قبل غيرها جبهة انتاج مفاهيم الحضارة سواء بالنحت أو التركيب فاحتضنت حواضنُها كلها ميادينَ معرفية وصلت إلى البشرية دقيقة وبقيت كذلك إلى يومنا هذا.

المجتمع المعرفي الذي تُصاغ مفاهيمه اليوم في حقول الفلسفة والفكر الجيو ـ سياسي ليس بآلة تقنية، وإنما هو مجموع عجائن اجتماعية حضارية كما كان شأن المجتمع الصناعي وقبله المجتمع الزراعي في قرون سابقة.

ـ مفهوم ''نقل المعرفة'' يشوبه نوعٌ من الغموض، ذلك أن المعرفة شأنها شأن الرمال لا توقفها دائما إرادة الرجال فهي تسري وتتسرَّب عبر فُوهات غير مرئية أحيانا مغترفة دوماً من نواميس المصالح، وسرِّ الرموز، وانفتاح الثقافات لتسافر، إن لم يكن في شكل مخطوط يوزن ذهباً، كما كان في عهد بني العباس، فمن خلال شبكة الانترنت في عهد العم سام، فنقلُ المعرفة هنا يوحي وكأن اللغة العربية غائبة تماماً عن المساهمة في إنتاجها. لم تكن المعرفة حكراً على حضارة، ولن تكون كذلك مستقبلاً، وإنما ناموس المعرفة مبني دوماً وسيظل كذلك، وإن بصفة مغايرة، على مبدأ التقاسم.

إن الذين صاغوا هذا المفهوم، إنما طرحوا مشكلة وليس إشكالية، فسوقُ المعرفة اليوم قائمٌ، ومنذ أن انتشرت الصناعات الثقافية انتشاراً مذهلاً، على استراتيجية تسويقية من جهة وعلى فكر جيو - استراتيجي يضمن التبادل غير المتكافئ للمعرفة من جهة أخرى، فنقل المعرفة هذا لا يعدو كونه خطاباً فضفاضاً يدل على عجز وغياب تدبير، فالمفهوم الواقعي في نظري هو تقاسم المعارف كشرط لنجاح عولمة المعرفة، وهنا فقط ندخل في سوق المفاوضات الاستراتيجية بالنسبة للعرب، ذلك أنَّ الضوابط التقنية لتقاسم المعارف تحكمها حقوق الابتكار، وشروطها تحكمها موازين القوى بين أطراف المعاملات المعرفية.

الغرب صاحب السوق المعرفية الكبرى، لن يتقاسم معنا إلا ما تمليه عليه مصالحه التنموية المرتبطة بسوقنا وبمؤسساتنا وليس لسواد أعيننا، انظر كيف نُقلت التكنولوجيا النووية وغير النووية إلى إسرائيل؟، أو كيف تكفلَّت أوروبا بالتنمية السريعة لإسبانيا. هنا تجلَّى مفهوم التقاسم كحاجة استراتيجية طويلة الأمد.
برأيكم، لماذا تمكنَّت النمور الآسيوية من توطين المعرفة بلغاتها ثم إنتاجها بينما فشل العرب في ذلك؟

- إن التوطين إجراءٌ يجمع بين الفكرة المجردة وبعمليات زراعتها في أرحام المجتمع، وثمار المعرفة مشروطة بالتربة التي تزرع فيها. ومجتمعات آسيا، وعلى اختلاف نظمها، جعلت من التنمية شرط نماء ومقصد قوة ومنهج نظام. هذه المآلات المرسُومة للمعرفة حولتها إلى مجهود استراتيجي وليس إلى هدف تجاري فكان أن ارتبطت المعرفة بالتحدي وبتحقيق الوجود وبصياغة نمطٍ حضاري كان الإسلام وأهله هناك من الرابحين. فإن كان أنموذجُ رجعة العرب قد انحصر في ثنائية الانتقال من حالة البيع أي التجارة كامتداد في ذاكرة العرب ومهنهم وواقع الريع، فإن النمور الآسيوية بُنيت بالذكاء وليس العصبية، فثنائيات التنمية العربية هي بالأساس ثنائيات ثقافية لم تتمكَّن فيها النُّخبُ السِّياسية من الفصل بين شروط الحداثة ودغدغات التراث، فكان أن وُظفت اللغة العربية لتسيير شؤون العتاقة والتراث واللغات الأخرى للتقرُّب من الحداثة، ولو من موقع الانبهار والاستهلاك.

صحيح أن هناك مدَّاً تحديثياً ظاهرا للعيان، خصوصاً في المجتمعات قليلة الديمغرافية والمشرفة على الديمقراطية مثل الإمارات وقطر، لكن صناعة النخب وتنمية الإبداع يصير هو الرهان الذي ينتظر تقويم التجربة على المدى المتوسط. وهنا أؤكد على قابلية النخب العربية لإنتاج المعرفة وصهرها في مشاريع إنمائية رائدة كما يحدث في المجتمعات الأوروبية.

إن مشكلة المعرفة مرتبطة بإشكالية حضارية تشكل نظرية النظم وعلومُها قلبَها النابض، وعلاقة الذهنية العربية عموماً بإشكالية النظم في حدِّ ذاتها مسألة مجتمعية وحضارية تنسج في عمق الذات العربية هشاشة تعيق فرص النمو، وتحجب سبل الوصول إلى صناعة شروط القوة والمناعة، كما أن إنتاج المعارف عاملٌ حيوي من عواملها.

ii ألا يمكن أن يُفضي نقل المعرفة والمعلومة الجاهزة إلى ترسيخ الكسل العقلي والاتكال لدى العرب؟ أليس الأفضل تركيز الجهود على محاولات إنتاج المعرفة مباشرة، كما فعل الأجداد في العصور الماضية، بدل استيرادها أو نقلها؟

- المعرفة سواء نقلت أو أبدعت تبقى وليدة حاجة وغاية حضارة ورؤية نظام. هي بالأساس ليست مسألة أريحيات جمالية لأنها مرتبطة في إنتاجها برؤية أمة من الأمم إلى وزنها في المعادلات الجيواستراتيجية من جهة وإلى ميزان الفكر في انجاز العمران المنظم والمتماسك. إن المعرفة لم تعد قضية خيار وإنما مسألة مصير. والمجتمعات التي تركن إلى الكسل لن تحقق شروط المناعة أبدا وستبقى كالدودة الزائدة تتغذى من غير جهد حتى ترميها الأجسام الحية في النهاية. أجدادنا فهموا، وبقدر ما أوتوا من علم ومن إيمان عملي، فضل نعمة المعرفة في صفاء الدين وانتصار الحضارة.

ثمة قضية جوهرية يطرحها المفكر الجزائري محمد أركون وقد طرحها بصيغة غير إشكالية المفكر الجزائري الآخر مُلهِم نمور آسيا المسلمين مالك بن نبي تصب في مسألة تفسير انكفاء بل وانتفاء العقلانيات الإسلامية؛ هذا التفسير من شأنه أن يفتح لنا أفقاً جديداً مع المعرفة بعدما أن نتجاوز تهويماتنا في مسألة الاجتهاد.

هل نقل المعرفة شرطٌ ضروري لإنتاجها لاحقاً على المستوى المحلي؟ وهل يقبل الغرب ببساطة انتقال جوهر معرفته إلينا؟

- المعارف يحكمها معيارُ النقل أحياناً وبخاصة في جوانبها التطبيقية لكنها تنتهي في حاضرة العقل الذي يستثمرها ويحوِّرها بل ويحاكيها. لم تعد المعرفة ومن خلال اقتصادها جغرافية بل أسواقاً فقط. كل التقنية اليابانية انبثقت من النقل الياباني المُرتكِز وجوباً على العقل الياباني الخلاق. والصين تسير على نفس المنوال، فالمسألة ليست في النقل ولا في التوطين وإنما في المشروع الحضاري المرسوم وفي نجاعة النخب ودورها في تصميم الجديد انطلاقاً من محاكاة القديم. إن استيراد الجاهز من المعارف صار قانون سوق لكن العبقرية تكمن في صناعة جيل العبقرية وتمديد القواعد المادية للمعرفة والعلوم.

الغرب لا يحتكر من المعارف سوى ما تعلق منها بالمسائل المرتبطة بأمنه الاجتماعي والقومي، أمَّا ما تبقى فهو يسوِّقها سلعة تدرُّ عليه فائض قيمة تبني له اقتصادَ معرفة ذا قيمة تراكمي

إلى أي مدى يعيق ضعف الاهتمام بقطاعي التربية والبحث العلمي في الوطن العربي عملية إنتاج المعرفة وبقائه عالة على الغرب في هذا الجانب؟

- هنا بيت القصيد ومربط الفرس؛ النظم التربوية العربية وبخاصة في التجمعات الثقيلة سكانيا والخفيفة ديمقراطياً والمُغيَّبة استراتيجياً، كمصر والجزائر والمغرب، خرجت من مضمار التنافس العلمي وما يقتضي من دور معلوم وريادي للجامعة في صناعة التنمية وتحقيق الرفاه. وبالمقابل، تتوفر شروطٌ كبيرة في بعض دول الخليج تسمح ببروز بؤر علمية من أرحام المنظومة التعليمية إن هي اندمجت في المناهج التي تنمِّي الذكاء ولا تكتفي بتوزيع شهادة المكانات، فالدكتورات التي لم يكتب أصحابُها نصا، وكراسي الأستاذية التي لا يبدع حاملوها فكرة، شوَّهت وإلى حد كبير المشهد العلمي وأدخلته مسرح الرياء والريوع.

لن تقوم للعرب كلهم قائمة إلا إذا أصلحوا بحزم وعزم شؤون نظمهم كلها، خصوصاً النظام التربوي والتعليمي وهو أمر حصل في الهند وكوبا الجنوبية وماليزيا وأعطى ثماراً طيِّبة صارت تجنى مدنية ووعياً وشموخاً.

إن العقل الذي تلقى القرآنَ وحمله وتمكن من كنز تراث بحجم التراث العربي ثم الإسلامي، واللغة التي بواسطتها تعلمت نخبٌ مهمة من الغرب لولوج حداثة اليوم، هو عقل أنوارٍ قبل غيره، وعقل تجريد وخيال وتدبير لا ينقصه سوى نظام تربوي سليم وقاعدة علمية ليتمكن وبسرعة غير منتظرة من مواكبة مسار الإبداع وهو يبدع اليوم في دول أخرى حيث وجد شروط الإبداع وأساسه النظام والتراتب القائم على الكفاءة وليس على اعتبارات زائفة تسيِّرُها المحاباة .

اللغة القومية وتوطين المعرفة في ضوء الاقتصاد المعرفي

إن استفادة العالم العربي من الفرص التي سيتيحها اقتصاد المعرفة،وأخذ حصته فيه ، وتجنب مخاطر عدم مواءمته مع التحديات التي سيأتي بها هذا الإقتصاد،وكل هذا يتطلب من العالم العربي التحرك لتفعيل دور مؤسسات العلم والتكنولوجيا لديه لتأدية وضيفتها في المجالات الأربعة للتعامل مع المعرفة أي:

أ_ توليد المعرفة : وذلك في مؤسسات البحث والتطوير وفي الجامعات ، وهذا يتطلب قيام الدول العربية برفع معدلات تمويلها ودعمها لهذه المؤسسات .

ب_ نقل المعرفة : وذلك من قبل الشركات المتقدمة،وكذلك مؤسسات التوثيق العلمي وشبكات نقل المعلومات ومؤسسات الترجمة،وكذلك عن طريق البعثات للإختصاصات المختلفة بقصد نقل المعرفة وتوطينها ،يضاف إلى ذلك جهود التعاون الإقليمي والدولي بهذا القصد.

ج_ أما نشر المعرفة: فيكون بدعم دور التوثيق والإعلام العلمي إضافة إلى برامج التوعية العلمية المختلفة،وكذلك توفير مراكز تقديم المعلومات العلمية والتكنولوجية والتجارية وغيرها، وتوسيع استثمار شبكات الحواسيب ومنها الإنترنت وتشجيع إنتقال العاملين من الجامعات ومراكز البحوث إلى الصناعة وبالعكس.

د_ استثمار المعرفة وهي من أهم الوظائف التي يجب الإعتناء بها وذلك بتوفير المؤسسات الوسيطة بين جهات توليد المعرفة وفعاليات الإنتاج والخدمات مثل المؤسسات التكنولوجية ومثل المخابر الهندسية والهندسة العكسية ومثل دعم براءات الإختراع وحماية الملكية الفكرية وغيرها من الإجراءات.

يقو ل د.عمار بكار:عندما ظهر مصطلح الاقتصاد الجديد Economy New في أواخر التسعينيات الميلادية كان يعكس حالة الطفرة الخاصة في شركات الإنترنت التي عاشتها الأسواق المالية الأمريكية في ذلك الوقت، حيث رأى بعض كبار المفكرين الاقتصاديين في هذه الطفرة مؤشرا على التحول من "الاقتصاد الصناعي" إلى "الاقتصاد المعرفي"، أو بكلمات أخرى التحول من الاعتماد على الإنتاج في الاقتصاد إلى الاعتماد على الخبرة النادرة، وتحويل هذه الخبرة إلى عامل اقتصادي مسيطر.

لما انهار الكثير من شركات الإنترنت، لم ينهر "الاقتصاد الجديد" كمبدأ وأفكار، وذلك لأنه كمفهوم يعكس حالة العولمة، فالشركات الكبرى أدركت أثناء اجتماعاتها الاستراتيجية أن الهند والصين والدول الأخرى التي تتميز بانخفاض تكلفة العمالة ستسيطر على الإنتاج، بما في ذلك إنتاج الأجهزة التكنولوجية، وأن هذه الدول ستعالج عبر السنوات مشكلة "الجودة والنوعية" التي تعانيها حاليا، وبالتالي ستتمكن من طرح السلع بأقل الأسعار تاركة دولا مثل اليابان وأمريكا وأوروبا الغربية في حيص بيص.

الحل كما طرحته تلك الشركات في الدول المتقدمة هو التركيز على ما لا يملكه أحد غيرها، القدرة الهائلة على التسويق وخلق العلامات التجارية branding، وعلى صناعة الأفكار، وعلى المعرفة التكنولوجية الدقيقة التي تحتاج إلى ما يملكه الغرب واليابان من مختبرات ومراكز أبحاث وعلماء، وعلى الأنظمة الإدارية بالإضافة طبعا إلى الاستفادة من أسواق الإنتاج في آسيا من خلال الاستثمار المباشر في هذه الأسواق.

بالنسبة إلينا في الدول العربية، التحدي مختلف جدا، فنحن لسنا دولا إنتاجية لأسباب عديدة بما فيها اختلاف التركيبة السكانية وحداثة عهدنا بالاقتصاد الإنتاجي، كما أننا لسنا "دول خبرة" ولا نملك مقومات "الاقتصاد المعرفي" ولذا ففي تصوري، يمكننا دخول التركيبة الاقتصادية من خلال عاملين مهمين:

الأول: هو الاستثمار المباشر في الاقتصاد الإنتاجي في آسيا والاقتصاد المعرفي في الغرب واليابان، والمشكلة في استثماراتنا المباشرة أنها عشوائية غير منظمة تقوم بشكل بحت على الفرص التي تتاح لرجال الأعمال، وقد يوفق بعضهم بينما يتعرض آخرون للنصب بشكل أو بآخر. إن وجود آلية مركزية خفية تنظم استثمارات رجال الأعمال بما يخدم مصالحهم ومغامراتهم التجارية وفي الوقت نفسه توفر للدولة وجودا واسعا ومتنوعا في اقتصاديات عديدة يبدو كأنه ضرورة لا بد منها.

الثاني: هو التركيز على صناعة الأفكار الجديدة، فالأفكار والإبداع هما الجزء الوحيد من الخبرة الذي يمكن لأي بناء اقتصادي أن يساهم فيه مهما كان هشا أو ضعيفا. لن يمكننا المنافسة في مجال المعلومات أو الدراسات أو التسويق أو شبكات التوزيع أو الأنظمة الإدارية، ولكن يمكننا دائما أن ننتج أفكارا جديدة تكون وقودا يوميا للاقتصاد الإنتاجي والاقتصاد المعرفي على حد سواء.

لكن تحقيق الأمر الثاني ليس سهلا، وهذا لا يخفى على أحد في رأيي، فصناعة الأفكار لا تتم فقط من خلال تشجيع الموهوبين، بل تحتاج إلى بيئة مميزة يتكامل فيها دور المدرسة مع المنزل مع المؤسسات الحكومية مع القطاع الخيري الداعم والقطاع الخاص المنفذ بحيث تصبح الفكرة الجديدة أمرا مقدسا وبحيث يكون المنتج النهائي سيلا من الأفكار idea streams أو خط إنتاج مخرجاته هو الأفكار.

أظن أنه قد حان الأوان لتأسيس "الهيئة الوطنية لتشجيع الإبداع". (8)

بناء مجتمع المعرفة وتوطينها باللغة العربية

إن بناء مجتمع المعرفة يتطلب مساهمة كافة قطاعات ومكونات المجتمع، وليس ذلك وقفا على الدولة وحدها، فمنظمات المجتمع المدني ومؤسساته مدعوة للإسهام في التمهيد وتعبيد الطريق نحو المجتمع المعرفي.

حسب هذا المنظور يصبح من الضروري مراجعة برامج التعليم المدرسي والتكوين الجامعي وترقية البحث بالتأطير الجيد للمدارس والجامعات والعناية بالباحثين في المراكز المتخصصة، والانطلاق من رؤية شاملة قوامها جملة من الشروط: كحرية الرأي والتفكير، والتعبير، وترشيد الأدوات والوسائل المعرفية، في ظل نظم تقوم على حكم راشد، وتكافؤ الفرص بين كل المواطنين وتشجيع الإبداع في العلوم والفنون والآداب والترجمة إلى اللغة العربية.
إننا نستشعر الأهمية الإستراتيجية في التفكير في بناء مجتمع المعرفة وتوطينه باللغة العربية ذات القدرة على مواكبة العلوم والتقنيات الحديثة، كما أن تطويرها وتجديدها والإبداع فيها وبها ، يسهل من نقل المعرفة في مجتمعاتنا لأن الاقتصار على اللغات الأجنبية سيمركز المعرفة بيد فئة قليلة، مما يعرقل إشاعتها وتبادل المعلومة وبالتالي سنكون أمام شعوب لم تستوعب عصرها ولا تستطيع الدفاع عن نفسها ولا هي قابلة للتغيير والتطوير.

إن استخدام العربية في مجتمع المعرفة يضمن نشرها بين مختلف شرائح المجتمع ويحافظ على الخصوصية الثقافية لشعوبنا مصدر التنوع والثراء في الحضارة الإنسانية، ويهيئها لأن تكون مشاركا فاعلا ، ويحفزها لتتبوأ مكانة فاعلة في العالمية ، ومحاورا كفئا مع اللغات والثقافات الأخرى، وليس مجرد سلعة أو سوقا لاستهلاك منتوجها.(9)

"يمكننا فهم كيفية استثمار ذلك في توطين مجتمع المعرفة في بلداننا" لكن تبقى الإشكالية قائمة إذا ما قسنا نتاجات المعرفة في المجتمعات الغربية بنتاجات المعرفة في مجتمعاتنا. فليست القضية قضية انتاج معرفة وإنما القضية إنتاج حاجة، فالحاجة هي التي تنتج المعرفة، ونحن نشتري حاجاتنا من انتاجات المجتمعات الأخرى ولا نساهم في ابتكار الحاجة التي تؤدي الى التراكم المعرفي..
ويبقى الوصف للأزمة هو الطاغي "العقل والنقل" و"التقليد والتجديد" ويخلص المحاضر الى الحكم الجزافي في امكانية التحضر وانتاج المعرفة"فمن الممكن اليوم أن نتجاوز ذلك نحو معرفة جديدة تقوم بدءا على تطوير لغتنا العربية وتطويعها وكذا قيمنا الثقافية والرمزية" وكأنما اللغة والقيم الثقافية المعرقلان لانتاج المعرفة والحري بنا تطويرهما، ونعود لاشكالية الدجاجة والبيضة، هل اللغة تعيق صناعة المعرفة؟ وهل يمكننا أن نسمي المولود مولودا وهو لايزال في بطن أمه ونحن لا نعرف جنسه وقابليته للحياة أو أنه سيموت.

أن اللغة القومية أداة من أدوات تخليد الأفراد والجماعات رمزيا عبر الزمان والمكان، فعلى المستوى - الجماعي تمكن اللغة المكتوبة على الخصوص المجموعات البشرية من تسجيل ذاكرتها الجماعية والمحافظة عليها وتخليدها وذلك رغم اندثار وجودها العضوي والبيولوجي، وهو أمر لا حاجة للاستدلال عليه في ثقافتنا العربية والإسلامية (10)
وللذين ما يزالون يعتقدون من شبابنا في عجز اللغة القومية عن التعبير عن حاجات العصر نذكرهم بأن أول مراتب الهزيمة هي في هذا الاعتقاد، ولنتذكر جميعا كيف نهضت اليابان بلغتها وليس بلغة غيرها، وهي اليوم على رأس قافلة الحضارة الإنسانية، والياباني وإن تعلم لغات أجنبية فهو معتز بلغته اليابانية التي يكتب بها Theويفكر بها ويبرمج الحواسيب بها والتي يعتبرها اللساني تادانوبو تسونودافي كتابه المخ الياباني) يقول : يبدو أنني اكتشفت Japanese Uniqueness) سر الفرادة والتميز الياباني) (Japanese Brain ما يفسر الأوجه المتفردة العامة للثقافة اليابانية، لماذا ينهج اليابانيون هذا السلوك المتميز؟ وكيف شكلت الثقافة اليابانية ملامحها الخاصة وطورتها ؟ أعتقد أن مفتاح الإجابة عن هذه الأسئلة يكمن في اللغة اليابانية، أي أن اليابانيين يابانيون لأنهم يتكلمون اليابانية التي تختزن تصورهم للعالم ماضيه وحاضره ومستقبله.

، الذي جاء إلى اليابان سنة 1549 : لماذا لا يكتب Francis Xavier وقد سأل فرانسيس غزافيي (11) اليابانيون «بطريقتنا «من اليسار إلى اليمين أفقيا ؟ فأجابه الدليل الياباني الذي كان يرافقه بسؤال كان يمكن أن يفيد فرانسيس لو أجهد نفسه في فهم مضمونه. والسؤال هو : لماذا لا يكتب الأوربيون بالطريقة اليابانية، من اليمين إلى اليسار، ومن أعلى إلى أسفل ؟

ونحن ينبغي أن نستوعب من هذا درسا نعطيه لأبناء أمتنا في قوة التحيز للغتنا العربية وفاعليته في النهوض بعيدا عن التسول الحضاري والاستيراد البليد. يقول أبو يعرب المرزوقي منبها إلى هذا المنزلق "إن الاستيراد الميت يصيب الأمم اللواقح بالعقم لكونه يحول دونها والمعاناة التي يتدرج بها الفكر من زاده الخاص إلى الإسهام في تحقيق الزاد الإنساني العام تدرجا مسهما في إبداع هذا الزاد، إذ دون ذلك لا تكون الكونية والكلية بين البشر إلا الاشتراك في الحيوانية طبيعة، والعبودية للسائد تاريخا"(12)

إن اللغة العربية هي أهم عناصر الهوية، والتفريط في اللغة هو تفريط في هويتنا التاريخية وقيمنا الثقافية والأخلاقية وسيادتنا القومية. وكلما اهتم الإنسان بلغته كان ذلك دليلا على قوته ونهضته وأصالته، والعكس صحيح.

الهوامش

(1) أوتوجسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع , القاهرة الانجلو المصرية ص 6-15

(2)http://ksa.daralhayat.com/perspectives/04-2009/Article-20090412-9beb5979-c0a8-(3) http://www.alaswaq.net/save_print.php?print=1&cont_id=3403

(4)أثر القران الكريم في اللغة العربية ص9 أحمد حسين الباقوري مكتبة المعهد\ دار المعارف.

(5)- عن مفاهيم التنمية تراجع الندوة التي نظمها برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة، تحت عنوان"الأمة وأزمة الثقافة والتنمية" تقديم عبد الحميد أبو سليمان دار السلام ط1، 2007.

(6)اللغة وبناء المعرفة ص71تأليف :غوردون ويلز وماري هنيدا.ترجمة عيسى بشارة.الطبعة الأولى 2003.الناشر:مؤسسة عبدالمحسن القطان .رام الله – فلسطين

(7)www.elyahyaoi.org

(8) طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثةص8.محمود رشدي خاطر وآخرون .الطبعة الثالثة .
(9)محمد محمد داود: اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر ص57، دار غريب القاهرة، 2003،. هل لا يزال العرب عربا - باتريك سميث. اليابان (رؤية جديدة). ترجمة سعد زهران. عالم المعرفة.. ص 176. ع 268

(10)- يراجع: محمد الذاودي في كتابه عن اللغة باعتبارها أرقى الرموز الثقافي مقالته: المنظور الإسلامي والرموز الثقافية كمفهوم متعدد الاستعمال في التخصصات المعرفية الحديثة،2004، ص59 ضمن المجلة التركية للدراسات الإسلامية .

(11) - المرزوقي أبو يعرب: آفاق النهضة العربية ومستقبل الإنسان في مهب الريح، ص71 ،دار الطليعة بيروت، ط1، 1999

(12)- مسعود ظاهر. النهضة العربية والنهضة اليابانية. تشابه المقدمات واختلاف النتائج. عالم المعرفة. ع 252. ص 23.

- **(13)Islam Arastirmalari Dergisi**

(14) http://mdarik.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1235628819618&pagename=Zone-Arabic-MDarik%2FMDALayout&ref=body

(15)http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=990&sid=4f9e8f9a4db1ac38cb306a1a4b1700cc